الأبنية إلى حالها القديم» كما أمر «بتطهير المسجد والصخرة من الأقذار والأنجاس»، ثم عيّن إماماً للمسجد الأقصى وأقام فيه منبراً، ومحا ما كان فيه وفي الأبنية المجاورة من صور كان الصليبيون قد وضعوها أو رسموها، وأعاد المسيحيين الوطنيين من أهل القدس إلى مساكنهم، كما سمح لهم بشراء ما أراد الفرنج بيعه من ممتلكات ومتاع وأموال[81].

د ـ صلاح الدين يؤكد المقولة «لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب»:

سوف نقتصر كلامنا، في هذا المجال، على شهادات المؤرخين الفرنجة، قال «ستيفن رنسيمان» ما نصه بالحرف: «الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية، فبينما كان الفرنج، ومنذ ثمانٍ وثمانين سنة، يخوضون (في) دماء ضحاياهم، لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب، ولم يحلّ بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة، بناء على أوامر صلاح الدين، يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين... ومن المناظر التي تدعو للحزن والأسى، ما حدث من التفات العادل إلى أخيه صلاح الدين يطلب منه إطلاق سراح ألف أسير، على سبيل المكافأة عن خدماته له، فوهبهم له صلاح الدين، فأطلق العادل سراحهم على الفور. وإذ ابتهج البطريرك هرقل لأن يلتمس هذه الوسيلة الرخيصة لفعل الخير[82]، لم يسعه إلا أن يطلب من صلاح الدين أن يهبه بعض الأرقاء ليعتقهم، فبذل له صلاح الدين سبعماية أسير، كما جعل صلاح الدين لباليان خمسماية أسير. ثم أعلن صلاح الدين أنه سوف يطلق سراح كل شيخ وكل امرأة عجوز. ولما أقبل نساء الفرنج

(81) م. ن. ص 551 ـ 553. والهُري (بضم الهاء وتسكين الراء): بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان. والجمع: أهراء.

(82) يقصد رنسيمان من هذا القول الغمز من قناة البطريرك هرقل الذي قال عنه، في النص نفسه، ما يلي: «لم يحفل البطريرك وهيئة الكنيسة إلا بأنفسهم، ودهش المسلمون حينما رأوا البطريرك هرقل يؤدي عشرة دنانير، مقدار الفدية المطلوبة منه، ويغادر المدينة، وقد انحنت قامته لثقل ما يحمله من الذهب، وقد تعبت العربات التي تحمل ما بحوزته من الطنافس والأواني المصنوعة من المعادن النفيسة»، (رنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 752 ـ 753).